

خَلَدَ اللَّهُ ظَلَالُ خَلَافَتِ الْسَّابِقَةِ الْوَارِفَةِ ، وَأَفَاضَ عَلَى الْعَالَمَيْنِ سِجَالُ رَأْفَتِهِ
الْمُنَرَادَةِ . وَيُسْتَرَ لَهُ النَّصْرُ التَّيْنِ ، وَسَهَّلَ لَهُ الْفَتْحُ الْمُبِينِ ، بِجَاهِ حَبِيبِهِ وَرَسُولِهِ
مُحَمَّدُ الْأَمِينُ . آمِينٌ .

وَهَا هُنَا مَقْدِمَةٌ تَشْتَهِلُ عَلَى أَمْوَارِ ثَلَاثَةِ يَنْبَغِي ذِكْرُهُمْ أَمَامَ الشَّرْوَعِ
فِي الْمَقْصُودِ ، فَنَقُولُ بِعَوْنَى اللَّهِ الْمَبْعُودِ :

الأمر الأول

فِي الْكَلَامِ الَّذِي يَصْحُحُ الْإِسْتَشَهَادَ بِهِ فِي الْلُّغَةِ وَالنُّحُوكِ وَالصَّرْفِ .

قَالَ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي شَرْحِ بَدِيعِيَّةِ رَفِيقِهِ ابْنِ جَابِرِ^(١) « عِلْمُ الْأَدْبِ سَنَةٌ :
الْلُّغَةُ وَالصَّرْفُ وَالنُّحُوكُ ، وَالْمَعَانِي وَالْبَيَانُ وَالْبَدِيعُ » ، وَالثَّلَاثَةُ الْأُولُونَ لَا يَسْتَشَهِدُ
عَلَيْهَا إِلَّا بِكَلَامِ الْعَربِ ، دُونَ الثَّلَاثَةِ الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ يَسْتَشَهِدُ فِيهَا بِكَلَامِ غَيْرِهِمْ
مِنَ الْمَوْلَدَيْنِ ، لَأَنَّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى الْمَعَانِي ، وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْعَربِ وَغَيْرِهِمْ ،
إِذْ هُوَ أَمْرٌ رَاجِعٌ إِلَى الْعُقْلِ ، وَلَذِكْرِ كُلِّ مَنْ أَهْلَ هَذَا الْفَنِ الْإِسْتَشَهَادُ بِكَلَامِ
الْبَحْتَرِيِّ ، وَأَبِي تَعَامِ ، وَأَبِي الطَّيْبِ وَهُلْمَ جَرَّاً » . ۱۰۷

وَأَقُولُ : الْكَلَامُ الَّذِي يَسْتَشَهِدُ بِهِ نُوعًا : شِعْرٌ وَغَيْرُهُ :

فَيَائِلُ الْأُولُونَ قَدْ قَسَمَهُ الْعَلَمَاءُ عَلَى طَبَقَاتٍ أَرْبَعٍ :

(الطَّبَقَةُ الْأُولَى) : الشِّعْرَاءُ الْجَاهِلِيُّونَ ، وَهُمْ قَبْلُ الْإِسْلَامِ ، كَامِرِيُّ
الْقَيْسِ وَالْأَعْنَى .

(١) الْأَنْدَلُسِيُّ هُوَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ بْنُ مَالِكٍ الرَّعِيْنِيُّ الْمُتَوَفِّ سَنَةُ ٧٧٩ .
وَابْنُ جَابِرٍ هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَمَدُ بْنُ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ جَابِرٍ الْمَوْارِيُّ الْمُتَوَفِّ سَنَةُ ٦٩٨
وَالْمُتَوَفِّ سَنَةُ ٧٨٠ . وَكَلَامًا نَحْوِيٌّ . وَكَانَ أَوْلَاهُ مَعْرُوفًا بِالْبَصِيرِ ، وَالآخِرُ يُعْرَفُ بِالْفَسِيرِ ،
وَبِدِيبِيَّتِهِ تُسَمَّى « بَدِيبِيَّةُ السِّيَانِ » ، وَاسْمَاهَا « الْحَلَةُ السِّيَرَا » ، فِي مدحِ خَيْرِ الْوَرَى » . وَكَانَا
يَتَرَاقِفَانِ فِي التَّجَوَّلِ وَالسَّفَرِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى بَلَادِ الْمُرْقَقِ ، حَيْثُ طَوَّا زِمْنًا طَوِيلًا
فِي رَبْعِ مَصْرُ وَالشَّامِ .

(الثانية) : الخضرـون، وهم الذين أدرـوا الجاهليـة والإسلامـ، كـبـيد وحـسانـ.
 (الثالثة) : المتقدمـون ، ويـقال لهم الإـسلامـيون ، وـهم الـذـين كانواـ في صـدرـ
 الإـسلامـ ، كـجـرـيرـ والـفـرزـدقـ .

(الرابـعة) : الـمـولـدونـ ، ويـقال لهم المـخدـونـ ، وـهم مـن بـعدـمـ إـلـى زـمانـناـ ،
 كـبـشارـ بنـ بـرـدـ وـأـبـيـ ثـوـاسـ .

فالـطـبقـتـانـ (الأـولـيـانـ) يـشـهـدـ بـشـعـرـهاـ إـجـاعـاـ . وأـمـاـ (الـثـالـثـةـ) فالـصـحـيـحـ
 صـحةـ الـاستـشـهـادـ بـكـلامـهاـ .

وقدـ كانـ أـبـوـ عـمـروـ بـنـ العـلـاءـ ، وـعـبـدـ اللهـ بـنـ أـبـيـ إـسـحـاقـ ، وـالـحـسـنـ الـبـصـرـىـ
 وـعـبـدـ اللهـ بـنـ شـبـرـةـ ، يـلـحـنـونـ الـفـرزـدقـ وـالـكـيـتـ وـذـاـ الرـئـةـ وـأـضـرـابـهـ ،
 كـاسـبـيـ الـنـقـلـ عـنـهـمـ فـيـ هـذـاـ الشـرـحـ إـنـ شـاءـ اللهـ ، فـيـ عـدـةـ أـبـيـاتـ أـخـذـتـ عـلـيـهـمـ
 ظـاهـرـاـ ، وـكـانـواـ يـعـدـونـهـ مـنـ الـمـولـدـونـ لـأـنـهـمـ كـانـواـ فـيـ عـصـرـهـ ، وـالـمـعاـصـرـةـ حـجـابـ .

قالـ أـبـنـ رـشـيقـ فـيـ الـعـدـةـ^(١) «ـ كـلـ قـدـيمـ مـنـ الشـعـرـاءـ [ـ فـهـوـ^(٢)ـ] مـحـدـثـ
 فـيـ زـمانـهـ بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ مـنـ كـانـ قـبـلـهـ . وـكـانـ أـبـوـ عـمـروـ يـقـولـ : لـقـدـ أـحـسـنـ هـذـاـ
 الـمـولـدـ حـتـىـ لـقـدـ هـمـتـ أـنـ آمـرـ صـبـيـانـاـ بـرـوـاـيـةـ شـعـرـهـ — يـعـنـيـ بـذـلـكـ شـعـرـ جـرـيرـ
 وـالـفـرزـدقـ — فـعـلـهـ مـوـلـدـاـ بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ شـعـرـ الـجـاهـلـيـةـ وـالـخـضـرـمـينـ . وـكـانـ
 لـأـيـدـ الشـعـرـ إـلـاـ مـاـ كـانـ لـمـتـقـدـمـينـ ، قـالـ أـصـعـىـ : جـلـسـتـ إـلـيـهـ عـشـرـ حـجـجـ^(٣)ـ ،
 فـاـ سـعـمـهـ بـحـنـجـ بـيـتـ إـسـلـامـىـ »ـ .

وـأـمـاـ (الـرـابـعةـ) فالـصـحـيـحـ أـنـهـ لـاـ يـشـهـدـ بـكـلامـهـ مـطـلـقاـ ؛ وـقـيلـ يـشـهـدـ
 بـكـلامـ مـنـ يـوـقـنـ بـهـ مـنـهـ ، وـاخـتـارـهـ الزـخـشـرـىـ ، وـتـبـعـهـ الشـارـحـ الـحـقـقـ ؟

(١) الـعـدـةـ ١ : ٥٦ـ .

(٢) التـكـلـةـ مـنـ الـعـدـةـ .

(٣) فـيـ بـعـضـ نـسـخـ الـعـدـةـ : «ـ ثـانـيـ حـجـجـ »ـ .

فإنه استشهد بـشـعـرـ أـبـيـ عـامـ فيـ عـدـةـ مـوـاضـعـ مـنـ هـذـاـ الشـرـحـ.

وأـسـتـشـهـدـ الزـخـشـرـيـ أـيـضـاـ فـتـسـيـرـ أـوـاـلـ الـبـغـرـةـ مـنـ الـكـشـافـ بـيـتـ منـ شـعـرـهـ ، وـقـالـ : «ـ وـهـوـ إـنـ كـانـ مـحـدـثـاـ لـاـ يـسـتـشـهـدـ بـشـعـرـهـ فـيـ الـلـغـةـ فـهـوـ مـنـ عـلـمـاءـ الـعـرـبـةـ ، فـأـجـعـلـ مـاـيـقـولـهـ بـعـزـلـةـ مـاـيـرـوـيـهـ .ـ أـلـاتـرـىـ إـلـىـ قـوـلـ الـعـلـمـاءـ :ـ الـدـلـيلـ عـلـيـهـ بـيـتـ الـحـاسـةـ ، فـيـقـنـعـونـ بـذـلـكـ لـوـقـقـهـ بـرـواـيـتـهـ وـإـقـانـهـ »ـ اـهـ

وـاعـتـرـضـ عـلـيـهـ بـأـنـ قـبـولـ الـرـوـاـيـةـ مـبـنـيـ عـلـىـ الضـبـطـ وـالـوـثـقـ ، وـاعـتـبارـ القـوـلـ مـبـنـيـ عـلـىـ مـعـرـفـةـ أـوـضـاعـ الـلـغـةـ الـعـرـبـةـ وـالـإـحـاطـةـ بـقـوـانـيـنـهاـ ، وـمـنـ الـبـيـنـ أـنـ إـقـانـ الـرـوـاـيـةـ [ـ لـاـ]ـ يـسـتـلـزـمـ إـقـانـ الـدـرـايـةـ .ـ وـفـيـ الـكـشـافـ أـنـ القـوـلـ رـوـاـيـةـ (ـ ٢ـ)ـ خـاصـةـ ، فـهـىـ كـنـقـلـ الـحـدـيـثـ بـالـمـعـنـىـ .ـ

وـقـالـ الـمـحـقـقـ الـنـفـتـازـانـيـ فـيـ القـوـلـ بـأـنـ بـعـزـلـةـ نـقـلـ الـحـدـيـثـ بـالـمـعـنـىـ : «ـ لـيـسـ بـسـدـيدـ ، بلـ هـوـ بـعـدـ الرـاوـيـ أـشـبـهـ ، وـهـوـ لـاـ يـجـبـ السـبـاعـ ، إـلـآـ مـنـ كـانـ مـنـ عـلـمـاءـ الـعـرـبـةـ الـمـوـثـقـ بـهـمـ ، فـالـظـاهـرـ أـنـ لـاـ يـخـالـفـ مـقـضـاهـاـ ، فـإـنـ اـسـتـؤـنسـ بـهـ وـلـمـ يـجـعـلـ دـلـيـلاـ ، لـمـ بـرـدـ عـلـيـهـ مـاـذـ كـرـ وـلـاـ مـاقـيلـ ، مـنـ أـنـهـ لـوـفـتـ هـذـاـ اـنـبـابـ لـزـمـ الـاسـتـدـلـالـ بـكـلـ مـاـ وـقـعـ فـيـ كـلـامـ عـلـمـاءـ الـمـدـحـيـنـ كـلـمـرـيـرـيـ وـأـضـرـابـهـ ، وـالـحـجـةـ فـيـ رـوـوـهـ لـأـفـيـارـأـوـهـ .ـ وـقـدـ خـطـّطـوـاـ الـتـنـيـ وـأـبـاـنـامـ وـالـبـحـترـيـ فـيـ أـشـيـاءـ كـثـيرـةـ كـاـهـوـ مـسـطـوـرـ فـيـ شـرـوحـ تـلـكـ الدـوـاـوـينـ .ـ

(١) نـكـلـةـ لـاـ يـصـلـحـ الـكـلـامـ بـدـوـنـهـ .ـ وـفـيـ حـاشـيـةـ الـكـشـافـ لـعـمـرـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ التـزوـيـنـيـ بـدـارـ الـكـتـبـ الـمـصـرـيـةـ ٨٢ـ مـ تـقـسـيـرـ ، مـاـنـصـهـ :

«ـ قـوـلـهـ : فـأـجـعـلـ مـاـيـقـولـهـ بـعـزـلـةـ مـاـيـرـوـيـهـ ، قـيـلـ عـلـيـهـ : عـمـلـ الرـاوـيـ لـيـسـ بـحـجـةـ فـيـ مـثـلـ اـنـفـاقـ ، إـذـ لـاـ يـدـلـ عـلـىـ دـمـالـةـ .ـ وـإـنـتـانـ الـرـوـاـيـةـ لـاـ يـسـتـلـزـمـ إـقـانـ الـدـرـايـةـ ، لـاـ سـيـاـ فـيـ الشـعـرـ فـإـنـهـ مـحـلـ الـفـرـورـاتـ .ـ وـالـجـوابـ هـنـهـ : أـنـ القـوـلـ رـوـاـيـةـ خـاصـةـ هـوـ كـنـقـلـ الـحـدـيـثـ بـالـمـعـنـىـ »ـ .ـ

(٢) فـيـ النـسـختـيـنـ : «ـ دـرـايـةـ »ـ ، وـالـوـجـهـ مـاـئـبـتـ .ـ وـانـظـرـ الـخـاشـيـةـ السـابـقـةـ .ـ

وفي الاقتراح^(١) للجلال السيوطي : « أجمعوا على أنه لا يُحتج بـكلام المولَّدين والمحدثين في اللغة والعربيَّة . وفي الكشاف ما يقتضي تخصيص ذلك بغير أئمَّة اللغة ورواتها ، فإنه استشهد على مسألة بقول أبي تمام الطائي^(٢) . وأوْلُ الشعراه المحدثين بشار بن برد ، وقد احتج سيبويه ببعض شعره تقرِّياً إليه ، لأنَّه كان هجاءً لتركه الاحتجاج بـشعره ، ذكره المرزباني وغيره . ونقل ثعلب عن الأصمعي أنه قال : ختم الشعر بابراهيم بن هرمة وهو آخر الحجج^(٣) » اهـ .

وكذا عدَّ ابن رشيق في المدة^(٤) طبقات الشعراه أربعاً ، قال :

م جاهلي قديم ، ومحضمر ، وإسلامي ، ومحدث . قال : ثم صار المحدثون طبقات أولى وثانية على الترتيب هكذا في المبوط إلى وقتنا هذا .

وجعل الطبقات بعضهم سناً ، وقال : الرابعة المولَّدون وم من بعدم كأبِي الطيب النبِّيِّ .

والجيد هو الأول ، إذ ما بعد المقدمين لا يجوز الاستدلال بكلامهم ، فهم طبقة واحدة ، ولا فائدة في تقسيمهم .

(١) الاقتراح في أصول علم النحو وجده . ذكر في مقدمته أنه اخزل فيه من تصاعيف خصائص ابن جني ما يتصل بهذا الفن ، وأنَّه أول مقيم لهذا العلم . وقد طبع هذا الكتاب مررتين في حيدر آباد .

(٢) في الاقتراح ٢٦ : « يقول حبيب بن أوس » . وبين هذا الكلام وتاليه فيه : « ثم قال : وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بـشعره في اللغة . فهو من علماء العربية ، فاجمل ما أقوله بـعزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول الملاع : الدليل عليه بيت الحسنة ، فيكتسحون بذلك لتوثيقهم بروايته ولإنقاذه » .

(٣) في الأغانى ٤ : ١٠٤ : « كان الأصمعي يقول : ختم الشعراء بابن هرمة ، وحكم الحضرى ، وابن ميادة ، وطبقيل الكتانى ، وذكين العذري » .

(٤) المدة ٤ : ٧٢ .